بسم الله الرحمن الرحيم

صنعة الكتابة في عهد الرسول والصحابة

بقلم دكتور محمد حميد الله

إن العرب قبل الاسلام لم يعتنوا كثيرا بالوثائق المكتوبة ، حتى أن أول كتاب عرفه التأريخ باللغة العربية هو القرآن الكريم . ولكن اعتناء الإسلام بها منذ أول أمره ما يدهش المؤرخ ، كما سنرى فيما يلي :

روى عن نبي الاسلام : «ان أول ما خلق الله القلم» .(1)
ان كلمة «قلم» توجد فى كثير من اللغات السامية . وبما ان اليونان أخذوا علم الخط من الفينيقيين ، فلابد أن كانوا قد استعاروا كلمة «قلم» أيضا منهم ، فقالوا χάλαμος ومنه calame بالفرنسية .

روى عن ابن اسحاق أنه قال : سمى اخنوخ «إدريس» ، لأنه أول من خط بالقلم ودرس الكتب .(2) ولكن لا نعرف كيف كان هذا الخط .

«روى ابن اسحاق فى الكتاب الكبير ، عن شهر بن حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أول من كتب بالقلم إدريس . وعنه عليه السلام أنه قال : أول من كتب بالعربية إسماعيل . وقال أبو عمرو : هذه الرواية أصح من رواية من روى أن أول من تكلم بالعربية إسماعيل عليه السلام» .(3)
«عن أبى ذر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر ، أربعة (يعنى من الرسل) سريانيون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وخنوخ وهو أول من خط بالقلم . وأنزل الله على خنوخ ثلاثين صحيفة» .(4)

الخط العربى قبل الاسلام

ان البلاذرى (المتوفى ٨٩٢م) من أقدم من حفظ لنا روايات العرب عن تأريخ خطهم . فقد بوب بابا فى «أمر الخط» فى آخر كتابه المسمى «فتوح البلدان» (ص ٤٧١–٤٧٤) . فروى عن محمد بن السائب الكلبى ، والشرقى بن القطامى ، وقال : «اجتمع ثلاثة نفر من طئ ببقة ، وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة . فوضعوا الخط ، وقاسوا الهجاء العربية على هجاء السريانية . فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار . ثم تعلم أهل الحيرة من أهل الأنبار... وتعلم بشر (أخو اكيدر بن عبد الملك) الخط من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة فى بعض شأنه – (فعلّم رجلين هناك ، ثم رجلا فى الطائف ، وآخر فى ديار مضر ، وناسا فى الشأم) – وتعلم الخط من الثلاثة الطائيين أيضا رجل من طابخة كلب . فعلمه رجل من أهل وادى القرى ، فأتى الوادى يثرب(5) فأقام بها ، وعلّم الخط قوما من أهلها » .
أما ابن النديم (المتوفى ٩٩٥) فقال فى أول كتابه ، كتاب الفهرست : «اختلف الناس فى أول من وضع الخط العربى : (الف) فقال هشام بن محمد الكلبى : أول من صنع ذلك قوم من العرب العاربة (ومن أسمائهم

١) الجامع للترمذى (كتاب التفسير سورة ٦٨ ، وأيضا كتاب القدر رقم ١٧) ، وسنن أبى داود (كتاب السنة باب القدر ، حديث رقم ١٠) ، ومسند ابن حنبل ج ٥ ، ص ٣١٧ .
٢) نقله البلاذرى فى أنساب الاشراف ، ج ١ ، ص ٣ ؛ روض الانف للسهيلى ج ١ ، ص ١٠ ؛ تأريخ الطبرى طبعة ليدن السلسلة الاولى ص ١٧٤ .
٣) السهيلى ج ١ ، ص ١٠ .
٤) تأريخ الطبرى أيضا ، ص ١٧٤ .
٥) كذا «يثرب» فى أصل المخطوطة ، وغيره دخويه فى طبعة ليدن فاقترح «يتردد» ، وهذا بدون حاجة .

قرطاس مصرى، حول ٨٠٠ م يحتوى على مكتوب خاص.
تشكر مكتبة الجامعة فى هامبرج
Staats- und Universitätsbibliothek Hamburg
التى صرحت لنا بنشر هذه الصورة.

أخذوا الحروف : ابجد هوز حطى كلمن صعفض قرست) . ثم وجدوا بعد ذلك حروفا ليست من أسمائهم ، وهى الثاء ، والخاء ، والذال ، والظاء ، والغين ، والشين ، فسموها الروادف ... (ب) وقال ابن عباس : أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال ... سكنوا الانبار ... وهم مرامرة بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ... فأما مرامر فوضع الصور ، وأما أسلم ففصل ووصل ، وأما عامر فوضع الاعجام» .(٦)

وللروايتين أهمية . فما يتعلق بالاولى ، فقد نعرف أن حروف الهجاء السامية القديمة (فى السينائية ، والفينيقية ، والبابلية ، والعبرانية وغير ذلك) تنتهى بالتاء ، وزيادة ثخذ ظغش (حسب الهجاء العربى المغربى) خاصة بالعربية . — ولا أبحث ههنا فى الهجاء العربى المشرقى حيث الترتيب : سعفص، قرشت ، ثخذ ، ضظغ — وما يتعلق بالرواية الثانية عن وضع علامات الإعجام ، فسنبحث فيها فيما بعد .

٦) كذا عند ابن النديم ؛ وفى «المحكم فى نقط المصاحف» للدانى (ص ٣٥) عن هشام الكلبى «أسلم بن خدرة أول من وضع الاعجام والنقط» .

نماذج هذا الخط القديم

ومن عجيب ما نرى هو أن أقدم نماذج الخط العربى ، كما نعرفه الآن ، توجد خارج جزيرة العرب ، فى النمارة ، والحران وزبد .(٧)

نشر علم الخط فى مكة

رأينا آنفا أن بشر بن عبد الملك بن عبد الجن هو معلم المعلمين للخط العربى . وهذا ما قال البلاذرى(٨) عن أعماله فى مكة : «ثم أتى مكة فى بعض شأنه ، فرآه سفيان بن امية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب . فسألاه أن يعلمهما الخط . فعلمهما الهجاء ، ثم أراهما الخط . فكتباه» . وقال ابن النديم(٩) بل هو حرب بن امية (بدل سفيان) . ولعل الحق مع ابن النديم ، فكل يقول(١٠) إن بشرا تزوج من الصهباء بنت حرب . (ولعل سفيان بن حرب المذكور عند ابن أبى داود ، هو ابو سفيان بن حرب) .

ولابد أن نبى الاسلام رآهم جميعا لما كان صبيا أو شابا .

وقال ابن النديم(١١) : «وكان فى خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب (المتوفى ٥٧٨م) فى جلد أدم ، فيه ...... قال : وكان الخط يشبه خط النساء» .

قال البلاذرى(١٢) «دخل الاسلام وفى قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب» . وسماهم ، ونجد أكثرهم بين كتّاب النبى فى المدينة المنورة . وذكر البلاذرى أيضاً أن بين المكيات الكاتبات : الشفاء بنت عبد الله العدوية ، وحفصة العدوية ام المؤمنين ، وام كلثوم بنت عقبة ، وعائشة بنت سعد بن عبادة وكانت تقول : «علمنى أبى الكتاب» ، وكريمة بنت المقداد . وقال : عائشة أم المؤمنين كانت تقرأ المصحف ولا تكتب ، وام سلمة ام المؤمنين كانت تقرأ ولا تكتب .

٧) كتابة الملك امرىء القيس اللخمى فى النمارة فى شرق سوران المؤرخة ٣٢٨ للميلاد المسيحى ، ونقش زبد فى جنوب شرق حلب المؤرخ ٥١٢م ، ونقش حران فى اللجا المؤرخ ٥٦٨ ، ونقش ام جميل من عين العصر فراجع Ph. Kh. Hitti, *History of the Arabs*, p. 70, 108 طبعة خامسة ، ص ٧٠ ، ٨٨ ، والنصوص *Rép. chronolog. d'épigraphie arabe* رقم ١-٤ ، ٤ مكرر .
٨) فتوح البلدان ، طبعة ليدن ، ص ٤٧١ .
٩) الفهرست ، الباب الاول .
١٠) راجع أيضا كتاب المصاحف لابن أبى داود ، ص ٥-٤ .
١١) الفهرست ، الباب الاول .
١٢) فتوح البلدان ، ص ٤٧١-٤٧٢ .

الخط فى المدينة

ذكرنا آنفا عن البلاذرى أن بشر بن عبد الملك أتى يثرب فأقام بها وعلّم الخط قوما من أهلها. وقال أيضا : «إن الكَمَلة (وهم من جمعوا الكتاب والرمى والعوم) فى الجاهلية من أهل يثرب : سويد بن الصامت ، وحضير الكتائب». ثم روى[١٣] عن الواقدى : «كان الكتاب بالعربية فى الأوس والخزرج قليلا ، وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان تعلمه الصبيان بالمدينة فى الزمن الأول ، فجاء الاسلام وفى الأوس والخزرج عدة يكتبون ، وهم ....»

فلو كان يهودى علّم المدنيين الخط ، فأنه علّم الخط العبرانى . فلما هاجر النبى الى المدينة ، وهاجر معه أهل مكة ، فان الخط العربى انتشر هناك حينذاك . والله أعلم .

العصر الاسلامى

أوامر القرآن

كان نبى الاسلام أميا ، كما أكد القرآن وقال (سورة ٢٩ ، آية ٤٨) : «وما كنتَ تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون». وكيف لا يفتخر الاسلام أن أول وحى اوحى اليه كان فى أمر القراءة وثناء القلم (سورة ٩٦ ، آية ١–٥) :

«اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم . الذى علّم بالقلم . علّم الانسان ما لم يعلم» .

فكان من أول إطباق هذا الامر كتابة الوحى ، وحفّظ القرآن بواسطة الخط .[١٤] وله أهمية خاصة ، فان كل ملة تعتنى بدينه أكثر من أى شىء آخر . فاهتم المسلمون بالقرآن المكتوب جدّ الاهتمام ولم يزالوا فى إتقان الخط وتجميله . ولاشك أن الخط المستعمل للقرآن هو من أجمل خطوط العالم ، وأيضا من أتقنها لصحة التلفظ وعدم إمكان الإبهام . (فكلمة HAMID مثلا يمكن أن نقرأها : حمد ، وحميد ، وحامد ، وحاميد ؛ ولا يوجد مثل هذه الإمكانات والإبهامات فى الخط العربى مع إعرابها) .

وأول ما فعل النبى بعد ما هاجر ، هو بناء مسجد ، وخص فيه صُفة للتعلم ، فعين أساتذة لتعليم الكتابة مثل عبد الله بن سعيد بن العاص ، وعبادة بن الصامت .[١٥]

١٣) أيضا ، ص ٤٧٣-٤٧٤ .
١٤) راجع لتاريخ كتابة القرآن فى العصر النبوى مقدمتى لترجمة القرآن الفرنسية ، طبعة ثالثة باريس ١٩٦٣ حيث ذكر المراجع أيضا
١٥) اسد الغابة لابن الأثير ج ٣ ، ص ١٧٥ ؛ الاستيعاب لابن عبد البر



صحيفة من القرآن الكريم بالخط المغربى

ومن أول ما نزل من القرآن بعد الهجرة آية المداينة (سورة ٢ ، آية ٢٨٢) ، فأمر بوجوب كتابة المعاقدات المالية إذا كانت الى أجل . وقال النبى عليه السلام[١٦] : «ما حق امرئ مسلم ، له شىء يوصى فيه ، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» . ومن ألطف ما روى[١٧] عن النبى الامى هو أنه لما أسر الاسارى فى بدر ، طلب الفداء من كل واحد منهم ؛ فمن كان يعرف الكتابة ، جعل فدائه تعليم عشرة غلمان من المسلمين الكتابة . (وفيه جواز المعلم المشرك لتعليم المسلمين) .

ذكر الطبرى[١٨] أن النبى عليه السلام «بعث معاذ بن جبل معلما لأهل البلدين : اليمن وحضرموت» . وقال أيضا[١٩] :

رقم ١٦٢٧ ؛ الإصابة لابن حجر رقم ١٧٦٩ ، ولعبادة بن الصامت راجع التراتيب الادارية لعبد الحى الكتانى ج ١ ص ٤٨ عن أبى داود .
١٦) صحيح البخارى كتاب ٥٥ باب ١ ؛ طبقات ابن سعد طبعة ليدن ج ٤ ، ق ١ ، ص ١٠٨ .
١٧) كتاب الاموال لأبى عبيد رقم ٣٠٩ ؛ طبقات ابن سعد ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤ ؛ مسند ابن حنبل ج ١ ، ص ٢٤٧ (أو رقم ٢٢١٦) ؛ السهيلى ج ٢ ، ص ٩٢ .
١٨) تأريخ الطبرى السلسلة الاولى ص ١٨٥٢ .
١٩) ايضا ص ١٨٥٣ .

«وكان معاذ معلما يتنقل فى عمالة كل عامل» . وأيضا[٢٠] «ومعاذ بن جبل يعلم القوم يتنقل فى عمل كل عامل» .

الكتابة بالعبرانية وغير ذلك

قبل أن نطالع تطور الخط العربى ، يجب أن نذكر أن المسلمين احتاجوا منذ العصر النبوى الى خطوط سوى الخط العربى .

ذكر المسعودى[٢١] أن زيد بن ثابت كان «يكتب إلى الملوك ويجيب بحضرة النبى وكان يترجم للنبى بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية . تعلم ذلك بالمدينة عن أهل هذه الألسن» . وذكر عدد من المؤرخين[٢٢] أن النبى عليه السلام قال لزيد : «أتحسن السريانية ؟ فانها تأتينى كتب» . قلت : «لا» . قال : «فتعلمها» . فتعلمتها فى تسعة عشر يوما .ـ وكأن المراد بالسريانية هى العبرانية ، فان اليهود كانوا يستعملون الخط العبرانى مهما كانت اللغة التى يتكلمون بها .

ذكر ابن حنبل[٢٣] عن «عبد الله بن عمرو بن العاص قال : رأيت فيما يرى النائم لكأن فى إحدى اصبعى سمنا وفى الاخرى عسلا ، فأنا ألعقهما . فلما أصبحت ، ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : تقرأ الكتابين : التوراة والفرقان . فكان يقرأهما» . وذكر ابن سعد[٢٤] «...رأيت عبد الله بن عمرو يقرؤ بالسريانية» . وروى ابن كثير[٢٥] فى تفسيره : «قال النبى عليه السلام : بلغوا عنى ولو آية ، وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج . ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار . رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو . ولهذا كان عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما ؛ بما فهمه من هذا الحديث من الإذن فى ذلك» .

ذكر ابن ماجة[٢٦] «أن النبى عليه السلام قال يوما لأبى هريرة : أشِكَمْتْ دَرْدْ ؟ (ألك وجع فى البطن ؟)» . ولكن لم يرو شىء عن كتابته بالفارسية . نعم ذكر السرخسى[٢٧] : «روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية . فكانوا يقرءون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية» . وفى النهاية حاشية الهداية[٢٨] : «روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسى أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية . فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم : بنام يزدان بخشايندة بخشايشگر . فكانوا يقرءون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم بالعربية . وبعد ما كتب ، عرض على النبى صلى الله عليه وسلم ثم بعثه إليهم . ولم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم . كذا فى المبسوط» .

إن كتابة أبرهة على السد فى مارب[٢٩] بالخط الحميرى (المسند) ، وأبرهة مات عند ولادة نبى الاسلام . فالراجح أن هذا الخط كان رائجا بين أهل اليمن ، فمن أسلم منهم مثل أبى هريرة كان لابد يعرف ذلك الخط . وأنا وجدت كتابات بذلك الخط فى المدينة على العقيق عند بئر عروة .

كان النبى عليه السلام ختم يختم به مكاتيبه . ولكن ذكر ابن سعد[٣٠] أن النبى لما عاهد مع أكيدر (أخى بشر بن عبد الملك) صاحب دومة الجندل ، وكان فى الأصل من أهل الحيرة ، وكتب الكتاب «ختمه بظفره» . والختم بالابهام معروف فى جميع العالم . أما الختم بالظفر فهو أمر يتعلق بالعراق خاصة . فقد نجد هناك كتابات على اللبنات ، فيها علامة مثل الهلال الصغير فى آخر النص ويقول الكاتب أو فريق المعاهدة : ختمته بظفرى .[٣١] ولذلك ختم النبى عليه السلام بظفره ، على طلب أكيدر .

حاجات الخط العربى

احتاج المسلمون أولا إلى أن يكتبوا القرآن . وأمر القرآن المسلمين أن يكتبوا جميع المداينات .[٣٢] واحتاج النبى أيضا كرئيس الدولة إلى من يكتب له أموال الزكاة والمغانم ، ومن يكتب له إلى الملوك وفى سائر ما يعرض له من الحوائج .[٣٣]

أما الصحابة ، فسوى القرآن وحوائجهم من العقود المالية ،

٢٠) ايضا ص ١٩٨٣ .

٢١) التنبيه للمسعودى طبعة ليدن ، ص ٢٨٢-٢٨٤ .

٢٢) تذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ ، ص ٢٩-٣٠ ، كتاب المصاحف لابن أبى داود ، ص ٣ .

٢٣) مسند ابن حنبل ج ٢ ، ص ٢٢٢ (أو رقم ٧٠٦٧) .

٢٤) طبقات ابن سعد ج ٤ ، ق ٢ ، ص ١١ .

٢٥) تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ٤ .

٢٦) سنن ابن ماجة كتاب الطب باب ١٠ (أو رقم ٣٤٥٨) .

٢٧) كتاب المبسوط للسرخسى ج ١ ، ص ٣٧ .

٢٨) لتاج الشريعة ، طبع بهامش الهداية نشرها عبد الحى اللكنوى ، كتاب الصلاة .

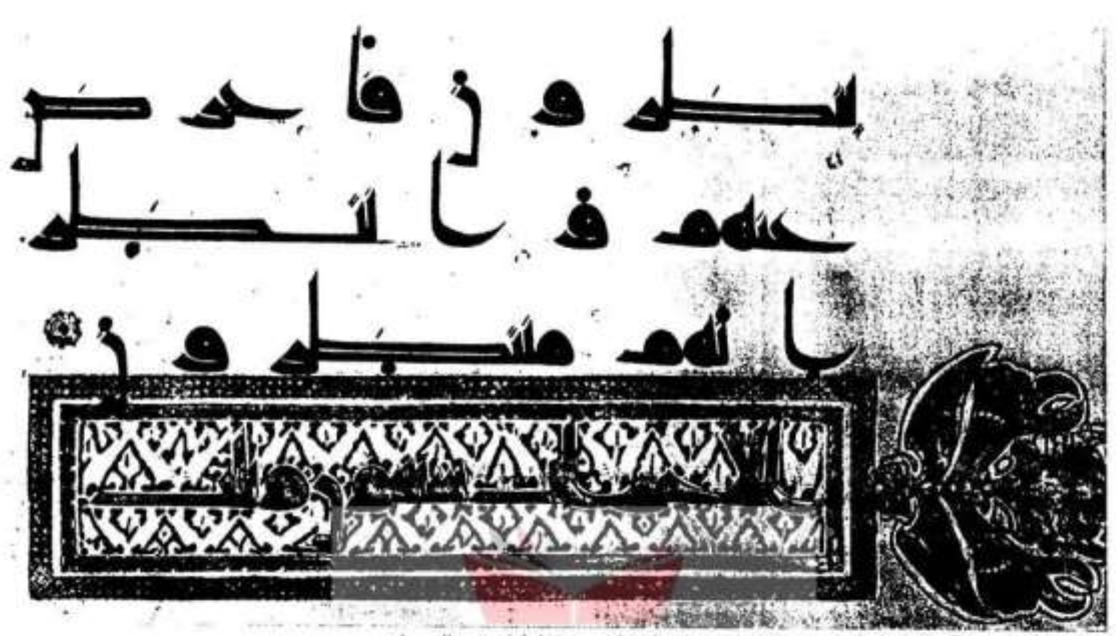
٢٩) مجلة المجمع العلمى العراقى ١٩٥٦ ، ٤ / ١ ، ص ١٨٦-٢١٩ ، مقالة جواد على مع صورة الكتابة والترجمة .

٣٠) طبقات ابن سعد ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٢٠ .

٣١) Olaf Krückmann, *Neue babylonische Rechts- und Verwaltungstexte*, Leipzig 1933, Text 37, Tafel 28; Meissner, *Babylonien und Assyrien*, I, 179; Ch. Edwards, *The Hammurabi Code*, p. 11.

٣٢) القرآن سورة ٢ ، آية ٢٨٢ : «إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه» .

٣٣) التنبيه والاشراف للمسعودى ، ص ٢٨٢-٢٨٤ .



صحيفة لقرآن بالخط الكوفي ، مولد العراق أو سوريا ، القرن الثامن ، محفوظ في متحف «دالم» ، برلين.

بدأوا يكتبون الأحاديث منذ حياة النبي[24] وزاد شغلهم بها بعد ما توفي . ونسمع عن كتب السير والتاريخ والفتاوى (الفقهية) منذ عصر الخلفاء الراشدين.[25]

تطور الخط

كلما زادت حاجة الناس إلى المكاتبات، زاد اعتناؤهم بالتدقيق والإتقان . والفرق بين خط الكتابات من قبل الإسلام والخط الموجود الآن الذى ننشر به هذه المجلة هو الرقش (أى النقاط المميزة بين ب ت ث ن ي ، ج ح خ ، إلى غير ذلك) ، والإعراب (أى حركات الفتح والكسر والشدة والسكون وغيرها) . وبدون هذين يبهم على القارئ مراد الكاتب . ويروى عن سيدنا عمر أنه قرأ مرة «فأتوا أن يضيفوهما» بدل «فأبوا أن يضيّفوهما» كما ورد فى القرآن . وذكر السيوطى[26] أن سيدنا عثمان كتب مرة إلى أهل مصر تولية رجل ثم قال : «فاذا جاءكم فاقبلوه» ، فقرأه الناس «فاذا جاءكم فاقتلوه» ، فكان سبب الفتنة وشهادة سيدنا عثمان فان الثائرين لم يصدقوه حين حلف أنه لم يكتب بأمر القتل .

٢٤) راجع مقدمة صحيفة همام بن منبه ، خاصة النشرة الانكليزية : *Sahifah Hammam ibn Munabbih*, Centre Culturel Islamique de Paris, Nº 2 (1960).

٢٥) كان رجل جاء بمجموعة فتاوى سيدنا على وعرضها على ابن عباس

٢٦) تدريب الراوى للسيوطى ص ١٥١ .

فمتى بدأ العرب بإيجاد هذه الامور من الرقش والإعراب ؟ الظاهر أن الناس لما احتاجوا الى حل هذه الصعوبات ، فكر كل واحد ، وتحصلت اقتراحات عديدة ، ولم يبق ما بقى إلا بعد طول تجربة ومسابقة بين اقتراحات مختلفة . وهذا معنى النزاع فيمن أوجد هذه الإيجادات . رأينا فيما سبق أن ابن النديم ينسب الإعجام الى ما قبل الإسلام . وذكر الدانى[27] أنّ إيجاد الإعراب ينسب الى أبى الأسود الدؤلى ، وإلى نصر بن عاصم الليثى ، وإلى خليل بن أحمد . وينسب ايضا إلى يحيى بن يعمر والحجاج بن يوسف . وكل هذا لئلا يلحن (أى يغلط) الناس فى قراءة القرآن . وحكى الدانى[28] أيضا أن الإعراب كان أولا بواسطة النقاط مختلفة الالوان ، وكذلك الفرق فى محل النقطة . فلما صعب هذا ، أوجدوا الأشكال ليميزوا بين الرقش والإعراب وكلاهما بمداد واحد.

هذا ما روى المؤرخون المتأخرون . ولكن من حسن حظ العلم لم تتلف جميع الوثائق القديمة ، واكتشف بعضها منذ قريب . وهذه الوثائق تصحح بعض ما روى المؤرخون ، وتخبر عن بعض ما لم يخبروا . فلنبحث عن الرقش والإعراب على حدة :

٣٧) المحكم ص ٣-٦ .

٣٨) ايضا ص ٤ .

الرقش

ان حروف الهجاء العربية تحتوى على (٢٨) حرفا على عدد منازل القمر. أما الأشكال فهى نصف هذا العدد كما سنرى فى الجدول التالى :

ا ـ ب،ت،ث،ن،ى ـ ج،ح،خ ـ د،ذ ـ ر،ز ـ س،ش ـ ص،ض ـ ط،ظ ـ ع،غ ـ ف،ق ـ ك ـ ل ـ م ـ و ـ ه

ولا تتميز إلا بالنقاط .

نشر جورج مايلس[٣٩] مقالة مصورة عن كتابة وُجدتْ على سد قريب الطائف، نقرؤ عليها، فى ستة أسطر ما يلى:

«هذا السد لعبد الله معوية / امير المومنين ، بنيه (=بناه) عبد الله بن صخر/ باذن الله لسنة ثمن وخمسين .ا / للهم اغفر الله معوية ا / مير المومنين وثبته وانصره ومتع ا / لمومنين به . كتب عمرو بن حباب»

ويقول صاحب المقال إنه يوجد رقش على إحدى عشرة كلمة ، يعنى فى السطر الاول على ى من «معاوية» ؛ وفى السطر الثانى على ب ون وى من بنيه (أى بناه) ؛ وفى السطر الثالث على ث ون وى من ثمن وخمسين ؛ وفى السطر الرابع مع احتمال الرقش على كلمة «اغفر» ؛ وفى السطر الخامس على ث وب وت من «ثبته» ؛ وكذلك ن من «وانصره» ، وت من «متع» ؛ وفى السطر السادس على ن وى (مع احتمال ن) من «المومنين» ، وب من «كتب» ، وب الثانية من «حباب» (ما يمكن أن نقرأ خباب أو جناب أيضا ، والرجل غير معروف) .

هذا على كتابة من السنة ٥٨ ، ولكن نجد الرقش على بردى أقدم من هذا . فقال آدولف گرومان[٤٠] : «ولو أنه اعتقد منذ برهة ، على أساس ما ذكره المؤلفون العرب ، أن إيجاد الرقش أى تنقيط الحروف لم يحدث قبل النصف الثانى من القرن الأول للهجرة ... ولكن الحقيقة أن أقدم بردى (پاپيروس) موجود ومؤرخ سنة ٢٢ للهجرة المطابقة سنة ٦٤٣ للميلاد المسيحى (من ذخيرة الأمير الكبير راينر ، كما نشر فى دليل معرض ويانا ١٨٩٤ ، رقم ٥٥٨) يرينا الرقش على الحروف خ ، ذ ، ز ، ش ، ن» . وهذا البردى من خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ، وعليه نص عربى مع ترجمة يونانية ، عثر عليه فى بلدة أهنس فى مصر ، ويذكر الجنود البرية والبحرية ، والخيل ، ومن بالأسلحة الخفيفة ومن بالأسلحة الثقيلة . وهذا نص القسم العربى منه كما قرأه گرومان :

سطر ١ ـ بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أخذ عبد الله
٢ ـ ابن جبر وأصحبه من الجزر من أهنس : أخذنا
٣ ـ من خليفة تذرق ابن أبو قير الاصغر ومن خليفة
إصطفن ابن أبو قير الأكبر خمسين شاة .
٤ ـ من الجزر ، وخمسة عشر شاة اخرى أجزرها
أصحب سفنه وكتئبه وثقلاه فى
٥ ـ شهر جمدى الاول من سنة اثنين وعشرين .
وكتب ابن حديدة» .

ونجد فى كتاب گرومان صورة هذا البردى وترجمة النص اليونانى ومعلومات اخرى . ونشر گرومان مقالا آخر[٤١] فيه صور بينها بردى مؤرخ «سنة اثنين وعشرين» ، وبردى آخر غير مؤرخ (أرخه گرومان ٢٢ـ٧٥ ه) ، وآخر من سنة ٥٧ للهجرة كلها مرقوشة ظاهر الرقش .

الرقش فى العصر النبوى

رأينا آنفا أن كتابة معاوية على سد الطائف مرقوشة . ومعاوية يعزو الرقش الى النبى عليه السلام . وجدتْ ذكره فى تدريب الراوى للسيوطى (ص ١٥٢)، وحقّق لى استاذان كريمان صبحى الصالح ويوسف العش أن نفس الرواية توجد أيضا فى مخطوطتين : فى تأريخ دمشق لابن عساكر (الجزء السادس ، ورقة ٢ـ٣) ، وفى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى (ورقة ٥٥) ؛ الاولى منهما فى دمشق والاخرى فى الاسكندرية . وتذكر هؤلاء المصادر :

«عن عبيد بن أوس الغسانى كاتب معاوية قال : كتبت بين يدى معاوية كتابا . فقال لى : يا عبيد ارقش كتابك ؛ فانى كتبت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقشته ـ (وفى رواية السيوطى : كتبت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا معاوية ارقش كتابك) ـ قال عبيد : قلت : وما رقشه (وفى رواية ابن عساكر : ما رقشته) يا أمير المؤمنين ؟ قال : أعط كل حرف ما ينوبه من النقط» .

نرى من هذا أن الرقش كان معروفا فى أواخر العصر النبوى (فان معاوية صار كاتبا له بعد فتح مكة فى سنة ثمان للهجرة) نعم لم يراعه الناس تماما فى جميع ما يكتبون ، كما نرى فى برديات عصر سيدنا عمر أيضا . ولكن لاشك أن الرقشة عرفها الناس منذ العصر النبوى ، فقد روى ابن الاثير[٤٢] أن النبى عليه السلام قال : «إذا اختلفتم فى الياء والتاء

٣٩) George C. Miles, *Early Islamic Inscriptions near Tā'if in the Hijāz*, (Journal of Near Eastern Studies, 1948, VII/4, p. 240.

٤٠) Adolf Grohmann, *From the World of Arabic Papyri* (Cairo, 1952), p. 82, 113–114.

٤١) *The Problem of Dating Early Qur'ans* (Der Islam, Berlin, 1958, XXXIII/3, p. 220, plate II)

٤٢) اسد الغابة لابن الأثير ج ١ ، ص ١٩٢ .

فاكتبوها بالياء» (مثل ليعلم ولتعلم) . ويعاضده ما روى الدانى(٤٣) «عن يحيى بن أبى كثير : كان القرآن مجردا فى المصاحف ، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء ، وقالوا : لا بأس به هو نور له» .

الإعـــراب

من المحتمل أن الإعراب شيء متأخر من العصر النبوى واحتاج الناس إليه لما ألحنوا فى قراءة القرآن . فيقال(٤٤) إن أبا الاسود الدؤلى اختار رجلا من عبد القيس فقال : «خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد ، فاذا فتحتُ شفتى فانقط واحدة فوقَ الحرف ، وإذا ضممتُها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف ، وإذا كسرتُها فاجعل النقطة فى أسفله ، فان أتبعت شيئا من هذه الحركات غنّة فانقط نقطتين . فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره . ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك» . وعزى الدانى هذه الحكاية إلى ولاية زياد زمن معاوية ، ولكن نقل بالهامش الدكتور عزة حسن ، محقق كتاب الدانى عن كتاب «الايضاح فى الوقف والابتداء» لأبى بكر الأنبارى (ورقة ١٦-١٧) أن عمر بن الخطاب أمر أبا الأسود فوضع النحو . وأبو الاسود من التابعين/توفى فى سنة ٦٩ للهجرة وكان تلميذ سيدنا على أيضاً .

ولكن لما نرى أن رسم القرآن (فى سورة ١٢ ، آية ٣٢) «ليكوناً» بدل «ليكونن» ، وكذلك «اذاً» بدل «إذن» (١٤/١٢) ، وأيضا «لنسفعاً» بدل «لنسفعن» (١٥/٩٦) إلى غير ذلك ، يمر ببالنا أن التنوين على الأقل من عصر النبى عليه السلام . ويؤكد هذا أن رسم القرآن (فى ٨٨/٢١) «نجى» بدل «ننجى» . وبالعكس أيضا يرسم فى القرآن (٤٧/٥١) «بأييد» ويتلفظ «بأيد» .

ولكن لا نجزم به . وصرح الدانى(٤٥) أن لأهل المدينة كان طريق خاص للإعجام ، ثم تركوه وأخذوا طريق أهل البصرة . ولم يصل إلينا إلى الآن وثائق كافية لنعرف تطور حركات الإعراب وأشكاله .

ولا بأس بالإشارة أن الخط العربى يحذف الألف كثيرا ، فيكتب بسم الله الرحمن الرحيم وكان وجب أن يكتب «باسم اللاه الرحمان الرحيم» . ولكن هذا أمر قديم ونجده قبل الاسلام أيضا ، لا بالخط العربى فحسب ، بل أيضا بخطوط سامية أخرى . مثلا يوجد كتابة أبرهة فى مارب على السد وهى بالخط الحميرى (المسند) فتكتب «مسحه ورح قدس» ويجب أن تقرأ «مسيحه وروح قدس» ، فهذا الخط يحذف الواو والياء أيضا . كأن الناس لم يحتاجوا إلى حروف العلة وكفاهم الحروف الصحيحة .

ويجب أن ينسب أيضا الى أقدم العصور الاسلامية زيادة حرف الألف فى صيغة الجمع من الماضى والمضارع (مثل فعلوا ، يفعلوا) . وسبب رأيى هذا هو أن القرآن يستعمله أحيانا ويتركه أحيانا ، وأيضا يستعمل حيث لا نستعمل الألف الآن ، مثلا :

ما كنت تتلوا (بدل تتلو) ٤٨/٢٩

ما نشوا (بدل ما نشاء) ٨٧/١١ . (وكذلك الضعفوا ، الشفعوا ، العلموا بدل : الضعفاء ، الشفعاء ، العلماء)

وهذا يدل أن هذا من أول أمر الكتابة . وبما أن رسم سيدنا عثمان للقرآن لم يغير — ونعم ما فعل المسلمون — وصل الينا نماذج بدء الكتابة العربية .

النقـــود

يوجد فى متاحف العالم نقود إسلامية من جميع العصور ، منها ما ينسب إلى سيدنا عمر وإلى سيدنا معاوية . وعلى مؤرخ الخط العربى أن لا ينساها . وبما أنى لم أشتغل بهذا الموضوع ، أكتفى بالإشارة إليه .

الخلاصـــة

إن الروايات عند المؤرخين ، والحقائق فى الوثائق القديمة مثل أوراق البردى والكتابات على الحجر وما ينسب من المكتوبات الى النبى(٤٦) ، وكذلك النقود (الدراهم والدنانير وغير ذلك) تدل على تطور سريع للخط العربى . فرقش الحروف وعلامات الإعراب بدأت منذ العصر النبوى ، وتم تطورها فى عصر الصحابة . وما دام لم يكن هناك وسائل الكتابة بالماكينات ، كفى للغة العربية خطها الذى ورثته منذ العصر النبوى والخلافة الراشدة . وهذا الخط لا يباريه أحد فى الجمال ، والاتقان والاقتصاد ، فان الخط العربى نوع من الاختزال يأخذ مكانا أقل مما تأخذ خطوط اخرى . فلو اعتنى صانعو المطابع ومهرة الخط العربى فتعاونوا لأمكن إيجاد الآلات اللازمة لكتابة الخط العربى المشكل (المعرب) مع سرعة العمل وجمال الفن . والله المستعـــان .

٤٣) المحكم للدانى ص ٢ ، ١٧ ، ٣٥ .
٤٤) المحكم للدانى ص ٤ .
٤٥) أيضا ص ٧ .

٤٦) راجع اصور ثلاثة منها (الى المقوقس ، والمنذرين ساوى ، والنجاشى) كتابى *Le Prophète de l'Islam* وصورة المكتوب إلى كسرى نشرت فى جريدة الحياة ، بيروت ، المؤرخة ٢٢-٥-١٩٦٣ مع مقالة صلاح الدين المنجد .